مجمع اللغة العربية بدمشق

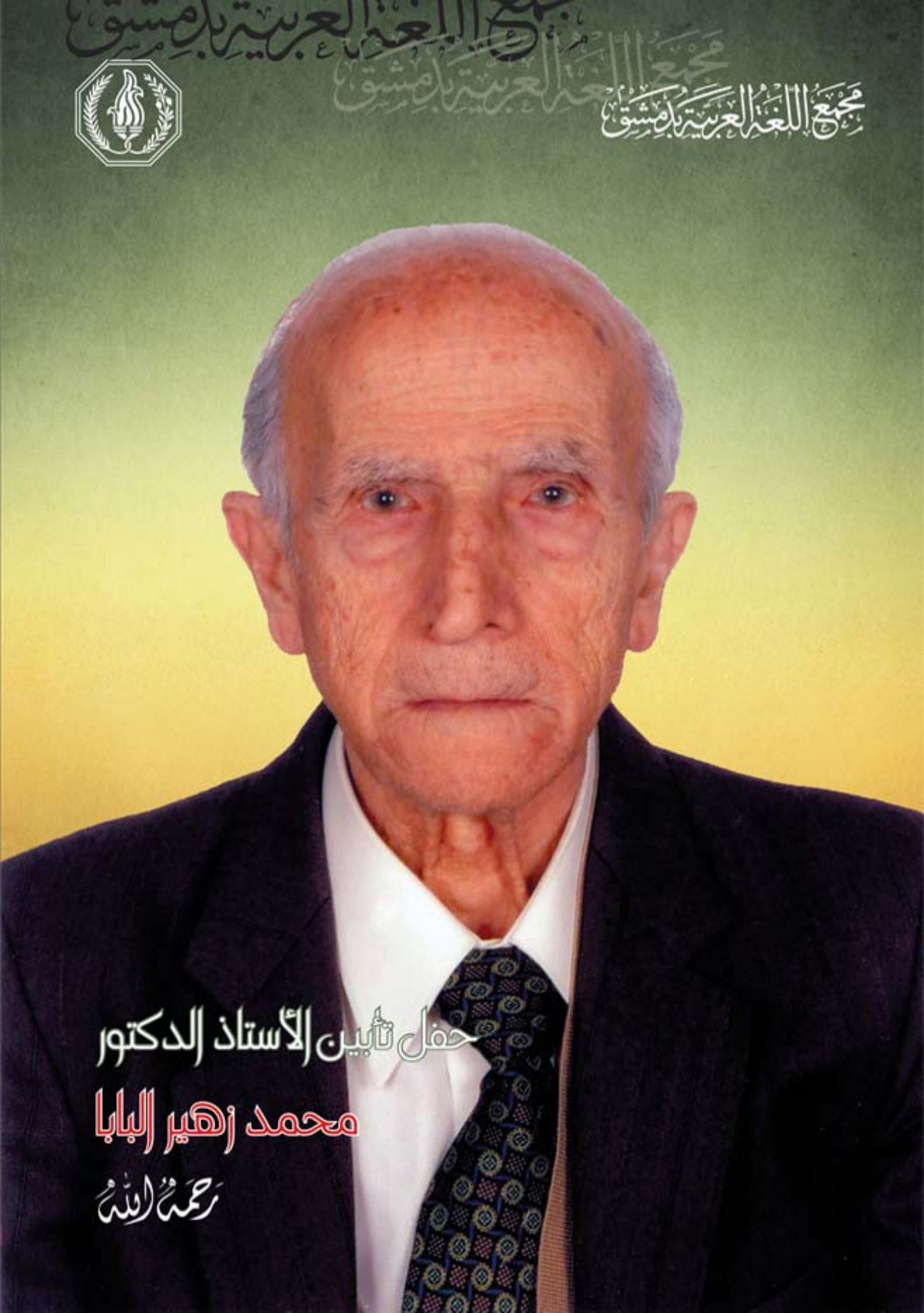

حفل تأبين الأستاذ الدكتور

محمد زهير البابا

رحمه الله

مجمع اللغة العربية بدمشق

حفل تأبين الأستاذ الدكتور

محمد زهير البابا

رحمه الله

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حفل تأبين
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
رحمه الله

مقدّمة

أقيم في الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء في ٢٩/ ١١/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٦/ ١٠/ ٢٠١١م في قاعة المحاضرات بالمجمع حفل تأبيني للراحل الكبير الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا رحمه الله.

وقد اختار الله فقيدنا إلى جواره يوم الخميس في ٣/ ١٠/ ١٤٣٢هـ الموافق ١/ ٩/ ٢٠١١م بعد رحلة طويلة حافلة بالعطاء.

- بُدئ الحفل بتلاوة آيات مباركة من الذكر الحكيم.
- ثم تتابع إلقاء الكلمات كما يلي:
  - كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور مروان المحاسني.
  - كلمة رئيس جامعة دمشق الدكتور محمد عامر ماردیني.
  - كلمة عميد معهد التراث العلمي بحلب سابقًا الدكتور علاء الدين لولح.
  - كلمة أصدقاء الفقيد ألقاها الدكتور مكي الحسني أمين المجمع.
  - كلمة طلاب الفقيد ألقاها الدكتور سمير النوري الأستاذ في كلية الصيدلة بجامعة دمشق.
  - كلمة آل الفقيد ألقاها نجله الدكتور مازن زهير البابا.

- وكانت جامعة دمشق وكلية الصيدلة ووحدة نقابة المعلمين قد أقامت حفلًا تأبينيا على مدرَّج تشرين في كلية الصيدلة، وألقى فيه نائب رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور محمود السيد كلمة المجمع.

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في حفل المجمع، وكلمة الدكتور السيد.

كلمة الأستاذ الدكتور مروان المحاسني

رئيس مجمع اللغة العربية

أيها السيدات والسادة

يطيب دومًا لمجمعنا أن يرحب بزائريه، إلا أنه من دواعي الحزن أن يتّشح اليومَ حضورُكم إلى مجمعنا بما يخيّم عليه من ألوان الأسى، لفقدان زميل عزيز كانت له مساهمات متميزة في مسعانا إلى تحقيق أهدافنا في خدمة اللغة العربية.

إن أعمال مجمعنا وإن اتّصفت بالطابع الجماعي، نظرًا لكونها صادرةً عن اللجان والندوات والمؤتمرات، إلا أننا في حقيقة الأمر لا يمكن لنا أن نتجاوز، أو نُغفل المجهوداتِ الفرديةَ التي يبذلها كل عضو في المجال الذي يختار أن يختص به، وهذا ما يتجلّى في المحاضرات والمقالات والمؤلفات، تلك الإنجازات التي تُبْرز اهتمامات المجمعي، وتوضح اتجاهاته الفكرية، وتحدد مكانته في الحيّز العلمي الذي اصطفاه.

ولقد كان للدكتور زهير البابا دورٌ نشيط في إضفاء صبغةٍ ناصعة على العمل الفردي، المتّسق مع العمل الجماعي في اللجان والندوات، فهو الذي اختار الانغماس في تحقيق النصوص التراثية المرتبطة باختصاصه، محاولًا إحياء ما فيها من نظراتٍ علمية ثاقبة، ومساراتٍ فكرية أصبحت دعائمَ لكل ما تلاها من تطورات في مجالات العلوم.

إنه عمل أصيل يساعد المجمع على تبديد تلك التصوّرات التي تجعل منه مؤسسةً يمكن اختزال أهدافها في إطار محدود، ينحصر إما في إصدار القواعد الرادعة عن استعمال بعض الألفاظ، أو النظر في قبول بعض التراكيب والأساليب، أو كذلك في إيجاد الوسائل لتسهيل تعليم النحو الضامن لسلامة اللغة، أو أخيرًا في اقتراح المصطلحات التي تقتلع الدخيلَ من الكلمات الأجنبية الشائعة على الألسن، لاقتراح البدائل لها.

إنها تصوراتٌ اختزالية إفقارية تُسقط ما جعله مجمعنا هدفًا متميزًا يرتقي باللغة إلى المستويات الحداثية، وذلك عن طريق مجاراة تطور العلوم والتقانات في عالم سريع التطور، وهو المجال الذي كانت للدكتور البابا مساهمات جادّة فيه من خلال عمله في اللجان العلمية في المجمع.

إنه هدفٌ لا يمكن بلوغه إلا بسلوك تلك المسالك الوعرة، التي تدرس العلومَ الحديثة لتستخلصَ منها ما تفيض به منتدياتها من تعابيرَ ومصطلحات، يترّتب علينا وضعُ المقابلات لها، بالاعتماد على حقائق لغتنا.

وهو عمل لابد أن يرافقه الحرصُ على شرحها بلغة بسيطة دقيقة سليمة، تساعد الطالب على استيعاب ما تحمله، مؤكدين بذلك ضرورة الإصرار على نقل العلوم إلى لغتنا العربية لعلها تعود إلى مكانتها العالمية.

أيها السيدات والسادة

لابد من القول بأن منطلقات العمل في مجمع اللغة العربية لا يمكن أن تُحصَر في الأمور التي ذكرتها، إذ إننا في مجالات خدمة اللغة العربية نتوخّى دومًا الإفادةَ من الفُرص التي يمثلها وجودُ أعضاء قضوا قسمًا كبيرًا من حياتهم في مجالات العلوم الإنسانية، أو العلوم التطبيقية، لنشكل اللجان القادرة على إغناء اللغة العربية بما في جعبتهم من دقائقَ نودُّ إدخالها إلى اللغة العربية بتفاصيلها ومعانيها الجديدة.

فقد انتخب الدكتور زهير البابا عام ١٩٨٨ وهو أستاذ جامعي في كلية الصيدلة، تَدرَّج في المراتب العلمية حتى العمادة، وهي المرتبة الأكثر لمعانًا ولو أنها الأقلّ انغماسًا في الشؤون العلمية. إلا أن رصيفنا قد بقي مخلصًا لمجالات الصيدلة، ونقل إلى مجمع اللغة العربية حُبّه للأقرباذين، وولَعَه بالعقاقير، وتصنيفَه للدساتير، واهتمامه بالسموم والترياق، وتاريخِ الطب، وعلمِ المياه.

فهو الذي درس الصيدلة باللغة العربية في جامعة دمشق، وأكمل علمه باللغة

الفرنسية في بروكسل، حيث حصل على الدكتوراه في علم العقاقير، وهو العلم الذي يختص بدراسة النباتات الطبية، والمواد الطبيعية التي تستخرج منها العناصر الفعالة التي تدخل في تركيب الأدوية. وهو العلم الذي أخذه العرب الفاتحون عن ديوسْكوريدِس اليوناني وأضافوا إليه التعريف بنباتات بلاد الشام.

ولقد تميز فقيدنا بإصراره على الإفادة من التراث العلمي العربي مؤكدًا أن علينا إبرازَ ما هو معروف من هذا التراث ليبقى، إذ إن ما تُضيفه دراساتنا إليه ينير الماضي، ويكشف نواحيَ مغمورةً فيه، يستفادُ منها في مسارنا نحو تعرُّف الحقيقة، أو نحو تسهيل الوصول إلى ما يمكن الوصولُ إليه منها.

لقد كانت منطلقات الدكتور البابا في هذا المسلك تؤكّد قناعتنا بأن لغتنا العربية لغةٌ حيّة، لم ينقطع اتصالها بجذورها، ولزام علينا الحثُّ على ربط ماضيها بحاضرها، وأننا ما دمنا في مواجهة حاضرٍ تتدفق فيه الكشوف العلمية، فنحن بحاجة إلى سبر أغوار تراثنا لإبراز ما فيه من فكرٍ وخَلْقٍ وإبداع، لعلنا نستفيد من خبرات أسلافنا حين واجهوا عولمةً غامرة، تمكنوا أن يدخلوها إلى اللغة العربية الصامدة على قواعدها، المفتوحةِ على كل جديد، مستفيدين من طواعيتها ودقة مقاييسها.

هذا ما دَفَعَ فقيدَنا، وهو يشارك في أعمال اللجان المجمعية المختصة بمصطلحات علم الحياة والعلوم الطبيعية الأخرى، إلى أن يلتفت إلى مجالات التحقيق: تحقيق تراث الزهراوي جرّاحًا وصَيدَنًا، وتحقيق مخطوط أقرباذين القلانسي، وأقرباذين ابن التلميذ، ومخطوط دفع المضار عن الأبدان لابن سينا. كما أنه اهتم بموضوعات تراثية عديدة، وألقى دروسًا في العلوم عند العرب في معهد التراث العلمي العربي في حلب، إلى جانب محاضراتٍ عامة عن مصادرِ الأدوية المفردة في الطب العربي، وعلم السموم في الطب العربي، وكثيرٍ غيرها من الموضوعات المُشوِّقة، التي تعيد إلى الجمهور معرفةَ ما أُهمل من تراث ثري، فيه الكثير من الكنوز التي يمكن الإفادة منها.

أيها السيدات والسادة

لكل منا أن يكوّن في نفسه صورةً للغة العربية، فهي تارةً متعةٌ لتفريج الهموم وانشراح الصدور لما في شعرها من الأنغام والإيقاعات، أو مدرسةٌ لفنون التراكيب اللغوية المعبّرة، والألفاظ المنسَّقة المبثوثة في مقاماتها، أو مرقاةٌ إلى شطحات صوفية توصل الروح إلى مناجاة خالقها.

وأما من فاتته تلك الانفراجات العلوية، فيكتفي باعتماد اللغة حاملًا أمينًا للفكر، وناقلًا دقيقًا لموادَّ علميةٍ تُبنى عليها الحضارات، وهي نتاجٌ متميز لفكر إنساني فعّال يسعى إلى تفهُّم العالم الذي نعيش فيه، وإلى التأثير في معطياته، بما يخدم الارتقاء بالحياة الإنسانية.

إننا اليوم أكثر منا في أي يوم مضى، وفي مواجهة تحديات العصر، قد أصبحنا في حاجة إلى من يغترف من حاضر الغرب ما نستطيع ربطَه بفتوحات الشرق، وهي فتوحات الثقافة العربية الإسلامية التي يجب علينا سبرُ أغوارها.

إنه الانفتاح الذي لا يقبل أن يبقى ماضينا الثقافي مدفونًا في رمالٍ تحجبه عن ذاكرة الأمة، بل يؤكد أن تراثنا مُرتَكز فكري حياتي يتميز بحمولة قِيَمِيَّة امتلأت بها ألفاظ لغتنا، وهذا ما يجعلها قادرةً على استيعاب الحداثة، بما يوصلنا إلى المشاركة في استكمالها.

ولقد كان للدكتور زهير البابا فضلُ الانضمام إلى أولئك المُعتزّين بتراثنا، المُبْرزين لما فيه من منطلقات تساعدنا على استيعاب ذلك السيلِ المعرفي الآتي من الغرب، وقد كان لمساهماته وقع كبير لدى زملائه وطلابه المتأثرين بشخصيته الهادئة وإخلاصه للعلم.

رحم الله فقيدنا وأسبغ عليه رضوانه، وجعله مثالًا لشبابنا في إخلاصه للغة العربية وتمسكه بتراثها.

كلمة الدكتور محمد عامر ماردينى

رئيس جامعة دمشق

لا أعرف حقيقةً كيف أكتب نعيًا لك يا أستاذي ويا معلمي.

لقد حرمَتْني وفاتُك شعور الافتخار بأنني رئيس لجامعة فيها أستاذ عظيم مثلك. ورمز من رموز علم العقاقير في وطننا العربي الكبير.

لن أنسى أبدًا لقائي الأول بك وأنا طالب في السنة الثانية بكلية الصيدلة. أتلقى على يديك الكريمتين مبادىء علم العقاقير. كنت تُسمعنا ـ نحن طلابك ـ قصة عقار ست الحسن / البلادونا/ وكأنك تسرد لأطفالك قصة المساء كأب حانٍ. ما زلت أذكر سؤالك لنا لماذا سُمِّي هذا العقار بهذا الاسم؟ وجوابك أن الأتروبين كجوهر فعال في هذا العقار يوسِّع حدقة العين. وأن النساء في قديم الزمان استعملن مسحوقه كحلًا لتظهر عيونهن كبيرة مما يزيد من جمالهن. لذلك كان اسمه ست الحسن.

لن أنسى أحاديثك عن تاريخ وإنجازات علماء العرب والمسلمين كأبي بكر الرازي وابن سينا والفارابي والبيروني. كنت تصف لنا بيمارستان النوري بكل زواياه وأركانه فتنقلنا بشغف وفخر إلى أيام العرب المشرقة، ولكنني على يقين أن يومًا آت لا محالة سيقوم فيه أساتذة كلية الصيدلة في الجامعات العربية بتدريس حياة عالم سوري كبير، عشّاب دمشق محمد زهير البابا.

أما لقائي الأخير بك فكان بعد نحو ثلاثين عامًا من اللقاء الأول، في منزلك خلف مشفى الرازي، كنتُ حينها أُعزِّيك بوفاة أم مازن زوجتك المرحومة بإذن الله.

فبعد أن انتهيت من مراسم تقديم العزاء دخلت فورًا في حديث مشوِّق يشغل بالك عن تحقيق مخطوطة قديمة عمرها ألف سنة تتحدث عن نبات الدفلة.

هكذا العلماء لا يجدون وقتًا يضيعونه، ولا تهينهم شدائد، ينذرون أنفسهم للعلم ويُؤْثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؛ عنوان للعطاء بل هم يستمتعون بالعطاء دون مقابل.

جامعة دمشق حزينة على فراقك يا معلمي، لكنها تشكر الله أنك وُلدت من رحمها وعشتَ بين جنباتها ونذرتَ نفسك وعلمك لها، أعطيتَ حتى أرضيت، فرَضيَ الله عنك، وأرضاك عنا تلامذةً شاكرين لفضلك.

ويكفيني فخرًا أن صورتي عميدًا سابقًا لكلية الصيدلة معلقة إلى جانب صورتك عميدًا أسبق لها.

كما يكفيني فخرًا أن كُنْيَتَكَ أبو مازن كما هي كُنْيَةُ والدي رحمكما الله.

كلمة الدكتور علاء الدين لولح

عميد معهد التراث العلمي بحلب سابقًا

أستهل كلمتي بقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾ S

إنها لمهمة صعبة في موقف جلل أن أقف مُؤَبِّنًا للأخ والزميل والباحث والمؤلف الدكتور محمد زهير البابا، فأسأل الله أن يلهمني من الكلام ما يوفيه حقه راجيا المولى عز وجل في عُلاه أن ينال الثواب والمغفرة وننال منه الأجر، إنه سميع قريب مجيب.

والفقيد هو واحد من أهل العلم بل هو قامة علمية شامخة، وقيمة علمية مضافة، يشهد على ذلك نتاجه العلمي المميز في مجالات التعليم والبحث العلمي والتأليف، ومشاركاته الفاعلة في المؤتمرات والندوات العالمية والمحلية في إطار تخصصه العلمي وثقافته الواسعة، وجهوده الحثيثة للتعريف بالتراث العلمي للعرب والمسلمين، والكشف عن الدور الريادي للأعلام العرب في إثراء الحضارة الإنسانية بنتاج بحوثهم وأعمالهم وتوضيح السبق العلمي العربي في اكتشاف الحقائق العلمية.

نجتمع اليوم لتأبين فقيدنا الغالي، الذي غادرنا تاركًا بصماته الصالحة في لوح الوجود، لنقف على إنجازاته ومكارمه، وهي غنية وكثيرة ومتنوعة يصدق فيها قول الشاعر:

إن المكارم شتى لا عداد لها سبحان جامعها في ذلك الرجل

فإضافةً إلى عمله التعليمي في جامعة دمشق، فقد مد شرايين بِرِّه وفضله وإبداعه إلى جامعة حلب، فكان أحد أبرز مؤسسي معهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم منذ إحداثهما في الجامعة عام ١٩٧٦.

عمل أستاذًا لمقرر تاريخ الطب عند العرب في معهد التراث، وكانت محاضراته تحظى باهتمام كبير من قبل الزملاء والطلبة، وتشكل مرجعية صادقة للباحثين من داخل القطر وخارجه.

أشرف على عدد من الرسائل الجامعية (ماجستير ودكتوراه)، يهتم معظمها بتحقيق ودراسة المخطوطات العربية في مجالات تاريخ العلوم الطبية والصيدلانية.

نشر العديد من المؤلفات في مجالات تاريخ العلوم الطبية عند العرب، وتعتبر هذه المؤلفات من الإصدارات المميزة لمعهد التراث العلمي العربي، يضاف إلى ذلك مؤلفاته الأخرى التي جَرَتْ طباعتها ونشرها في جامعة دمشق.

قدم العديد من البحوث العلمية المميزة وشارك في المؤتمرات الدولية والمحلية التي ينظمها معهد التراث العلمي العربي، وقد تم توثيق هذه البحوث في إصدارات المعهد ووثائقه.

آلَ الفقيد

إن مصابكم مصابنا، ونحن عندما نواسيكم برحيل فقيدكم الغالي إنما نواسي أنفسنا، نقول لكم عظّم الله أجركم وألهمكم جميل الصبر والسلوان، لفقيدكم الرحمة، ولروحه كل الحب، ولحضورها بيننا هذا المساء كل التحية والاحترام، والتقدير كله لإنسان أعطى أكثر بكثير مما أخذ، وقدم دون مقابل، كسماء رؤوم حين شتاء.

أيها الجمع الكريم

أتوجه بالشكر الجزيل إلى مجمع اللغة العربية هذا الصرح الحضاري الغيور المعطاء، وإدارته الكريمة الموقرة، على هذه المبادرة الطيبة إلى إعداد هذه الأمسية الروحانية المباركة، راجيًا من الله عز وجل أن يسدد خطا العاملين والباحثين فيها لما فيه خير الأمة، وأن يوفقهم في تحقيق رسالتهم في خدمة العلوم والآداب والثقافة، متمنيًا لهم مزيدًا من العطاء والنجاح والتوفيق والرفعة.

السادةُ والسيدات الحضور

تخليدًا لذكرى فقيدنا الغالي، أتقدم بعدد من المقترحات، لعلها توفيه حقه، وتعترف بفضله، أوجزها بما يلي:

- إطلاقُ اسم الفقيد على مَعلمٍ علميٍّ في جامعتي دمشق وحلب، يُذكِّر الأجيال بعظم عطائه العلمي والبحثي وذلك اقتداء باحتفائنا بعطاء أعلام العرب الأقدمين.

- جمعُ أبحاث الفقيد الراحل في مجالات تاريخ الطب والصيدلة العربية في كتاب يجسد كريم عطائه، وإتاحتُه للباحثين والدارسين للتراث العلمي العربي.

- إعادة طباعة الكتب النافدة من مؤلفاته ورقيًا ورقميًا.

- الدعوة إلى إدراج اسمه في الموسوعات والكتب البحثية، التي تؤرخ للأعلام المعاصرين في مجالات العلم العربي.

- الاحتفاء بذكرى الفقيد الراحل المرحوم محمد زهير البابا والتذكير بإسهاماته العلمية في دراسة ونشر موضوعات التراث العربي، أسوةً بالأعلام العرب القدامى.

وسوف نسعى بإذن الله لدى المراجع المعنية لتحقيق هذه الاقتراحات. وختامًا، لا أجد ما أختم به كلمتي سوى قول الله تعالى:

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ۞ لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ S

تغمد الله الفقيد برحمته ورضوانه، وبسط عليه موائد جوده وفضله وامتنانه، وجعلنا وإياه من أهل إنعامه وإحسانه، وجمعنا وإياه ومن نحب في مستقر جناته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة أصدقاء الفقيد

ألقاها الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

أمين مجمع اللغة العربية

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها الحفل الكريم، السلام عليكم ورحمة الله.

تعرَّفتُ بفقيدنا الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، بعد أن شرفني هذا المجمع بمنحي عضويته واستقبلني عام ٢٠٠٢.

كنت قبل ذلك أسمع عن أنشطته العلمية الكثيرة، بحكم عملي في كلية العلوم، وعمله في كلية الصيدلة.

أما هنا في المجمع فقد عملت معه ومع زملاء آخرين في لجنة المصطلحات الفيزيائية والكيميائية، التي يرأسها الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور واثق شهيد. وتقاسمتُ العمل معه بتكليف من رئاسة المجمع في مراجعة مشروع معجم تخصصي أعده مكتب تنسيق التعريب في الرباط، عن مصطلحات أدوات المنزل. فقام بالعمل على الوجه المطلوب، وكنت سعيدًا بهذه المشاركة.

واستمر لقاؤنا في بعض لجان المجمع ومجلسه حتى أقعده المرض عن المشاركة في أعمالنا.

وجدته إنسانًا رقيقًا هادئًا، دمث الأخلاق متواضعًا، قليل الكلام، لم أسمعه ينتقد أحدًا، ولم أسمع عنه ما يسيء إليه. وسأعرض على حضراتكم نبذة من سيرته العلمية ومنجزاته في ميدان التعليم الجامعي، والتأليف وتحقيق المخطوطات. وكذلك نبذة من نشاطه المجمعي.

- نبذة من سيرته العلمية

- حصل الدكتور البابا على الإجازة في علوم الصيدلة والكيمياء سنة ١٩٤٥ من المعهد الطبي العربي بدمشق، الذي صار فيما بعد كليةً للطب.

- أُوفد إلى جامعة بروكسل في بلجيكا للحصول على شهادة الدكتوراه في علم العقاقير والنباتات الطبية، وحصل عام ١٩٤٨ على هذه الشهادة بدرجة جيد جدًا.

- وفي عام ١٩٤٩ عُين مدرسًا في كلية الطب – قسم الصيدلة، وكُلِّف تدريسَ مقرر علم العقاقير الذي أنشىء آنئذ في ذلك القسم، ثم تدرج في الهيئة التدريسية حتى صار أستاذًا ذا كرسي في عام ١٩٦٢. وفي هذا العام استقل قسم الصيدلة عن كلية الطب فأصبح كلية الصيدلة، وعُين الدكتور البابا وكيلًا لهذه الكلية الجديدة ورئيسًا لقسم العقاقير فيها.

- وفي عام ١٩٧٠ عُين عميدًا لكلية الصيدلة.

- لقد ترجم د. البابا عدة مؤلفات تبحث في علمي العقاقير والنباتات الطبية. وكان لابد له من البحث عن المصطلحات العلمية العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية. ولهذا لجأ إلى الكتب العربية القديمة التي تبحث في علم النبات وفي علم الأدوية والأقرباذينات (هذه الكلمة سُريانية من أصل يوناني وتعني وصف تركيب الأدوية) وهكذا عَرف كتابَ النبات لأبي حنيفة الدِّيْنَوريّ، وكتب النبات لابن البصّال وابن العوّام وابن الرومية والشريف الإدريسي، إضافةً إلى مؤلفات ابن ميمون والغافقي وابن البيطار وداوود الأنطاكي وغيرهم ممن أَلَّفوا في الأدوية المفردة. واعتمد أيضًا على معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي، وعلى معجمي الدكتورين أحمد عيسى ومحمد شرف.

- مؤلفاته والمخطوطات التي حققها

وبعد جهود دامت عدة سنوات استطاع الدكتور البابا أن يؤلف أول كتاب ظهر باللغة العربية في **علم العقاقير وتشخيصها المجهري والكيميائي**، ويقع قسمه النظري في جزأين، أما الجزء الثالث فهر القسم العملي.

وقد صدر هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة في عامي ١٩٦٤و١٩٦٥، ثم أعيد طبعه في عامي ١٩٧٠و١٩٧١.

كما ألَّف الدكتور البابا كتابًا عنوانه: **تاريخ الصيدلة وتشريعها وآدابها**، وطبع سنة ١٩٧٥ ثم أعيد طبعه بعد تنقيحه في عامي ١٩٧٨و١٩٨٦.

ولقد درَّس الدكتور البابا في معهد التراث العلمي العربي الملحق بجامعة حلب منذ عام ١٩٨١، إذ كان أستاذ تاريخ الطب والصيدلة وعلم النبات.

وفي عام ١٩٨٠-١٩٨١ تفرغ للبحث العلمي وقصد مدينة باريس، واطلع في مكتبتها الوطنية على جميع ما فيها من مخطوطات طبية عربية، وقام بفهرستها وتصنيفها وفقًا لأسماء المؤلفين. واطلع أيضا على فهارس المخطوطات الطبية العربية المحفوظة في أشهر المكتبات العالمية في الشرق والغرب، فأضحى في مقدوره أن يعرف من الفهارس التي سجلها، أماكن وجود النسخ النادرة من التراث الطبي العربي.

وحين عاد إلى سورية حمل معه عددًا من صور بعض المخطوطات التي بدأ دراستها وتحقيقها في باريس. وكان أول كتاب أتم دراسته وتحقيقه «**أقرباذين القلانسي**» الذي يعدُّ أكملَ دستورٍ للأدوية في الطب العربي. ويعود الفضل إلى إدارة معهد التراث العلمي العربي ورئاسة جامعة حلب في طبع هذا الكتاب سنة ١٩٨٣.

وبعد ذلك بعام قام معهد التراث العلمي العربي، بالتعاون مع معهد المخطوطات في القاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بنشر مخطوط آخر، أنجز منه

الدكتور البابا ما يتعلق باختصاصه من دراسةٍ وتحقيق. وصدر الكتاب المطبوع عام ١٩٨٥ بعنوان «**من مؤلفات ابن سينا الطبية**». وهو يضم ثلاث مخطوطات من تأليف ابن سينا:

الأولى: دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية.

الثانية: أرجوزتان في الطب.

الثالثة: كتاب الأدوية القلبية.

- **نشاطه العلمي**

أما نشاط الدكتور البابا العلمي فقد كان واسعًا، إذ نشرت له **المجلات العلمية** خمسة عشر بحثًا ومحاضرة. وشارك بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٦ في /٢٩/ تسعة وعشرين مؤتمرًا وندوةً علميةً محليةً وإقليميةً ودوليةً.

- **تكريمه والجوائز التي حصل عليها**

ونتيجةً لنشاطه العلمي الجمّ حاز الميدالية الذهبية من مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب الرابع في القاهرة عام ١٩٧٤.

كما نال جائزة الكويت للتقدم العلمي في مجال الكيمياء والصيدلة عند العرب عام ١٩٨٦.

- **في مجمع اللغة العربية بدمشق**

وفي سنة ١٩٨٩ استُقبل د. البابا عضوًا جديدًا في مجمعنا هذا، وقدّمه ورحّب به في حفل الاستقبال عضو المجمع الراحل الدكتور عبد الحليم سويدان.

- **نشاطه المجمعي**

- حقق هذا المجمعي الجديد مخطوطة نادرة في **علم السموم لابن وحشية**، لكنها لم تطبع بعد. ومارس نشاطًا متنوعًا في رحاب المجمع:

- ففي حفل استقبال الأستاذ الدكتور عادل العوَّا عضوًا جديدًا في المجمع ألقى كلمة قدّمه فيها ورحّب به.

- وفي حفل استقبال الأستاذ شحادة الخوري عضوًا جديدًا في المجمع، ألقى كذلك كلمة قدمه فيها ورحّب به.

- وألقى محاضرة في قاعة المحاضرات عنوانها: «الجواهر والأحجار الكريمة في كتب التراث العربي» وذلك في أيار ١٩٩٥.

- كما ألقى محاضرة في قاعة محمد كرد علي في المدرسة العادلية عنوانها: «تأثير المملكتين الزنكية والأيوبية في تقدم العلوم» وذلك في آذار ١٩٩٦. ونشرت هاتان المحاضرتان في كُتيِّبين خُصّصا لمحاضرات المجمع. ونشر في مجلة المجمع بحثين:

الأول: «السوابق واللواحق وأهميتها في فهم المصطلح العلمي ووضْعِه»، وذلك في المجلد / ٧٥/ سنة ٢٠٠٠.

الثاني: «أسرة الكواكبي وأشهر علمائها»، وذلك في المجلد / ٨١/ سنة ٢٠٠٦.

أيها السيدات والسادة

هذه نظرة عجلى إلى المنجزات العلمية التي قام بها فقيدنا الدكتور البابا في أثناء عمله الجامعي الذي دام نحوًا من أربعين سنة، وفي خلال عمله المجمعي الذي دام قرابة / ٢٢/ اثنتين وعشرين سنة.

أخيرًا، حدثني الزميل الكريم الأستاذ المجمعي شحادة الخوري – الذي منعه مانع من أن يتحدث إليكم بنفسه – أنَّ صداقته لفقيدنا امتدت سنوات طويلة، وقويت عراها في رحاب مجمعنا: فكانا يلتقيان يوميا للعمل على خدمة العربية، بإغنائها بألفاظ وعبارات يستحدثانها وفق منهج محدد، للوفاء باحتياجات هذا العصر.

كان الفقيد رجلًا فاضلًا يتحلى بمزايا الأفاضل الذين يقفون حياتهم لتحقيق هدف نبيل. وكان إنسانًا طيب العِشرة. هادىء الطبع، صادق القول، مخلصًا في عمله، وفيا لأصدقائه. يحدّثك بروية فتسمعُ منه ما يعبّر عن صفاء النفس والفكر. وكان وافر الأدب

يُحسِن الإصغاء إلى محدّثه، ويعبّر عن رأيه بكثير من التهذيب والكياسة. وفضلًا على ما ذكِر. كان ربَّ أسرةٍ مثاليًا.

وكان لتنشئته لأولاده أثر طيب جدًا، تجلى في حسن خلق ابنه الدكتور مازن، وابنته الدكتورة خلود وإتقانها العمل، وسيرتها الطيبة، فلهما ولأسرتيهما وبقية أهل الفقيد وأصدقائه أصدق العزاء.

تغمَّد الله فقيدنا الدكتور زهير البابا برحمته، وجزاه خير الجزاء عما قدَّم لأُمَّته، والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة طلاب الفقيد

ألقاها الدكتور أحمد سمير النوري

أيها الحفل الكريم

فقد مجمع اللغة العربية وفقدت جامعة دمشق وكلية الصيدلة بل فقدت سورية علمًا من أبرز أعلامها وباحثًا من أميز باحثيها ومُعلِّمًا من أعز المعلمين على قلوب طلاب الصيدلة، إنه الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته.

ويشرفني أن أتحدث أمام جمعكم المهيب باسم طلابه، نحن الجيل الذي نهل من معين علومه الثر في العقاقير، وفي التراث العلمي العربي، فلقد استحوذ رحمه الله على مجامع القلوب وألباب العقول، بأسلوبه الشائق وخطابه اللائق وقدرته الفريدة في التدريس، وإيصال فكره وعلمه بسلاسة وانسجام إلى كل مستمع وكل راغب في تحصيل العلم، فلقد أدهشنا حين قدم لنا التراث العلمي العربي بعمق معلوماته وصدق اجتهاداته، ونالت تحقيقاته في التراث جوائز عدة، وكشف بدأبه وأناته عن كنوز علمية أبدعها علماؤنا الأفذاذ، وبقيت منسية ردحًا من الزمن في زوايا التاريخ.

وهو مؤسس علم العقاقير، رفد مخبره بأنواع متنوعة من العقاقير المحلية المستوردة، ومازالت حتى اليوم بغية الطلاب في تعرُّف أسرارها ودراسة خصائصها وتأثيراتها.

كان رحمه الله يحاكي العقل والمنطق والعلم، فجمع بين أصالة التاريخ وحداثة العلم، وربط بينهما بعروة وثقى، فكان المعلم المبدع الثاقب الفكر المتقد الذهن.

كان نظيف القلب واللسان عفيف النفس واسع الوجدان، لم يزلَّ لسانُه ولم يخطىء بيانه، حميد المزايا كريم الشيم، صفي السريرة نقي السيرة عليَّ القيم، سَمْته الهدوء وصفته الحلم، فلم نره يوما غاضبًا ولا لائمًا ولا عاتبا، حسن الخلق جيد المداراة.

وجمعني لقاء في القاهرة مع الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفني صابر في أحد المؤتمرات العلمية، وهو عضو اللجنة العليا التي وضعت دستور الأدوية المصري، وكنت آنذاك حديث العهد غضَّ العود في فاتحة مشواري العلمي بكلية الصيدلة، فحدثني حديث القلب والروح عن الراحل الجليل، وكان الأستاذ صابر قد بلغ من الكِبَر عتيا، وكانت كلماته موزونة قوية ذات جرس، وأنا مستمع كأني في درس، وقال لي إن الأستاذ البابا درَّة أساتذة العقاقير وأحد أساطينها، وطفق يذكر بشوق أيامًا مضت وأعوامًا انقضت متحدثًا عن مناقب وخصال الراحل رحمهما الله.

ولعل قربي من الأستاذ البابا رحمه الله في قسم العقاقير، والذي امتد إلى سنوات جعلني أتعرف بالدكتور زهير البابا المعلم الإنسان، والعالم الباحث والمتواضع، فلا يحدثك عن أمجاده ولا يسترسل بذكر إنجازاته، ولا يتباهى بإرثه العلمي الذي سطره يراعه وزيَّنه إبداعه، وما زلت أذكر تلك اللحظة المهيبة التي مَثُلْتُ فيها أمام أستاذي رحمه الله متحدثًا في مسابقة لانتقاء المعيدين، ودعوت الله متوسلًا أن يحل عقدة لساني، لأنني في حضرة قامة سامقة وقمة شاهقة في علوم الأقرباذين. وما زلت أذكر رسائله لي وأنا في فرنسا موفدًا، فكانت توجيهاته الرشيدة وملاحظاته السديدة منارة أضاءت لي الدرب، وكان لي شرف مشاركته التدريس في مقررات العقاقير والنبات وتاريخ الصيدلة. واليوم وكتابي في تاريخ الصيدلة في قيد الطباعة في مطبعة جامعة دمشق أهديه إلى روحك الطاهرة.

يا معلّمي، علمتنا أن العلم أمانة وأخلاق، ونجاح وإخفاق، وعلمتنا أن إيبقراط لم يتردد لحظة في ذكر حالات الإخفاق والفشل التي مني بها، وأن تبيان أسباب الفشل طريق النجاح والحقيقة، وأن الادعاء والانتحال طريق الفشل والاضمحلال. علَّمتنا الوفاء بالقسم والتمسك بالفضائل واجتناب التدليس والرذائل، وما زلت أردد على مسمع طلابي قول إيبقراط (لست أملك من فضيلة العلم سوى علمي بأني لست عالما).

كنتَ يا سيدي حازمًا دون عنف، ولَيِّنا دون ضعف، وستبقى ذكراك مع كل نفحة من أريج ياسمين دمشق، ومع ضَوْع كل وردة دمشقية تنشر عطرها مع أنسام دمشقية عليلة، ستبقى ذكراك مع نفحات ياسمين العراتلي الذي يشفي القلوب وينعش الصدور، مع زهر النارنج والنرجس وسحر خشب الصندل، ستبقى ذكراك في كل زاوية من مخبر العقاقير بمجاهره العتيقة التي رفضت الحداثة والكهرباء، وانتظرت بشوق شروق الشمس لتعكس مراياها النور وتكشف مكنونات وخبايا خلايا عقاقيرك المخلصة من عود الأراك ورائحة البخور حيث تضفي على محرابك قدسية الأماكن المقدسة.

أيها الأستاذ الجليل كلما حاولنا سبر أغوارك وجدنا أنفسنا على رمال شطآنك ما زلنا نستظل بأفيائك، ونستدل بآرائك وننهل من ينبوع عطائك. لقد تركت أثرا يُدرس وخلفت ذِكرًا لا يمحى ولا يَدْرُس، تتغير أبراج الدنيا وتختلف مقادير الناس، بعضهم يَعْبر دنيانا ولا يخلِّف ذكرا ولا صدى، ويبقى ذكرك مع العلماء والعظماء على طول المدى.

في الحديث الشريف إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقةٍ جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٍ صالح يدعو له. ولقد جمعت الثلاث رحمك الله وجعل الجنة مآبك، وطيَّب ترابك وجزاك خيرًا لما قدمت وأثابك يا معلمي، سلام عليك وأنت في ملكوت

السماء في مقعد صدق، في فضاء من الطهر والعفة والنقاء، بعيدًا عن دنيا الكذب والغش والرياء، سلام عليك يوم ولدت ويوم رحلت ويوم تبعث حيّا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة آل الفقيد

ألقاها الدكتور مازن محمد زهير البابا

السادة الحضور

إن طاقات المرء غير محدودة بعلم معين وباختصاص واحد. وقد يتساءل أحد ما عن الرابط بين مجمع اللغة العربية وبين علم العقاقير والنبات. لأن مفهوم اللغة العربية وثيق الارتباط بخيالية الأدب والشعر، البعيد كل البعد عن واقعية العلوم، والفرق شاسع بين الاثنين. إذن كيف يمكن للمرء أن يكون علميا، وفي الوقت ذاته أن تكون لديه ملكة الأدب وما فيه من جمالية الكلمة، وعذوبة اللفظ.

نعم أيها السادة... لقد جمع الوالد العلم والأدب معًا في آن واحد. كان رجلًا علميا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، وفي الوقت ذاته كان متمكنًا من اللغة كتابةً وكلامًا. كنتُ نادرًا ما أراه يقوم بعمل ليس له علاقة بالمطالعة أو التأليف. تعودت، ومنذ نعومة أظفاري، أن أراه غارقًا بين كتبه في زاوية معينة من غرفة الجلوس، اختارها لنفسه. وبرغم صوت التلفاز وضجة المكان من تحركات أهل البيت ورنة الهاتف وما شابه، فإنه كان قادرًا على التركيز والكتابة، وكأنه في عالَمٍ خاص به، نسجه لنفسه لا علاقة له بما يجري حوله.

لقد أخذ الشعرُ من ذاكرته حيزًا، قراءةً وحفظًا، وكان دائم الترديد لأبيات تأتي في مكانها المناسب، شاهدًا لمجريات تحصل، حتى إننا كنا نتعجب من أمر تلك الذاكرة، الحاضرة للأدب والعلم، والغائبة عمّا سواها من أمور حياتية يومية.

لم يترك الوالد، الأستاذ الدكتور زهير البابا منصبًا علميًا إلا وكان له فيه حصة.

كان عضوًا فاعلًا حتى آخر أيامه، في مجمع اللغة العربية، حيث شارك في لجان مختلفة، وأغنى «مجلة المجمع» بمقالات زاخرة.

كما كان عضوًا في الموسوعة العربية بدمشق، وفي لجنة تعريب المصطلحات العلمية. وكان قد انتُخب عضوًا في الجمعية السورية لتاريخ العلوم بحلب، وفي الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب.

كما عمل على تأسيس معمل الخميرة، وهو الأول من نوعه في سورية في ذلك الحين.

وشارك في عضوية لجان متعددة لمراقبة الأدوية. وبعد حصوله على جائزة الكويت للتقدم العلمي، شارك في السنين التي تلت باختبار المرشحين لهذه الجائزة. إضافةً إلى العديد من المؤتمرات المحلية والعلمية المتعلقة بعلم العقاقير والنباتات الطبية، والتاريخ والتراث.

ولعل نبذةً بسيطة من تاريخ حياته توضح حبه للغة العربية والأدب العربي.

البداية عندما التحق بالمدرسة الجوهرية لتعليم القرآن، والتي كانت البذرة الأولى لترسيخ قواعد لغوية سليمة في ذهنه، وهو لا يزال صبيًا، ومنها إلى مدرسة التطبيقات لترسيخ لغة أخرى، وهي الفرنسية، ثم طالبًا في مكتب عنبر، ومنها إلى ثانوية جودت الهاشمي، حيث نال الشهادة الثانوية.

وبعد إنهاء المرحلة الجامعية في المعهد الطبي العربي (قسم الصيدلة)، قصد بلجيكا موفدًا للاختصاص بعلم العقاقير الطبية (نباتات طبية).

ومنذ ذلك الحين ولغاية آخر أيامه، وهو يدور في فلك النبات، مؤسسًا لكلية الصيدلة بجامعة دمشق، ثم أستاذًا متسلسلًا بالدرجات العلمية، حتى بلوغه رتبةَ أستاذٍ ذي كرسي. وكان من ضمن عمله الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه. ولا ننسى شَغْله منصب رئيس قسم وعميد لكلية الصيدلة برهةً من الوقت. وأثناء ذلك عمل باحثًا في أصول النبات، وأهميته وكيفية استثماره، وفي تاريخ الطب. وكان يشدُّه تاريخ العلماء الذين كان لهم باع كبير في هذا المجال، ومؤلفاتهم والبيمارستان، حيث كانوا يعملون، وما تركوا من مخطوطات عَمِلَ بكل جهد محققًا لها. كان هذا العمل شُغْله الشاغل. وهو أمر كما تعلمون ليس باليسير، فقد كان يقضي ساعات طِوال وكأنه غافل عن الزمن.

كان له الفضل في تأليف العديد من الكتب المرجعية الهامة منها: كتاب «أقرباذين القلانسي»، وكتاب «من مؤلفات ابن سينا الطبية»، وكتب جامعية مثل: «علم النبات» و«علم العقاقير» و«تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة»، إضافةً إلى المشاركة في العديد من المعاجم والموسوعات العربية مثل: «معجم النباتات الطبية» و«معجم الصيدلة»، كما وضع فهرسًا للمخطوطات الطبية للحضارات القديمة العربية والإغريقية في المكتبة الوطنية بباريس.

إنها سلسلة طويلة ومتتابعة من العمل الجاد والمضني، رفعته إلى مصاف العلماء الذين كان جُلُّ اهتمامهم ينصب على إنتاجهم العلمي، دون انتظار أجر أو تقدير.

وأظن أن الأجيال القادمة ستجد في الآثار العلمية التي تركها ينابيع لا تنضب من عصارة جهد طويل.

رحم الله كل من وطّن نفسه للعلم، هم كثير في وطننا. لعل وجودكم هنا، أيها السيدات والسادة، هو العزاء لنا، وهو الدليل على إجلال العلماء، وهي صفة من صفات أهل الشام.

أخيرًا وليس آخرًا، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر وعِرفان الإحسان إلى مجمع اللغة العربية، رئيسًا وأعضاءً، لرعايتهم هذا الحفل الكريم. وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس مجمع اللغة العربية. وأيضًا الشكر الجزيل إلى كل من:

- رئاسة جامعة دمشق، متمثلة بشخص الدكتور عامر المارديني.
- عميد معهد التراث بحلب، الأستاذ الدكتور علاء الدين لولح.
- أمين مجمع اللغة العربية، الأستاذ الدكتور مكي الحسني، صديقًا عزيزًا للوالد.
- الأخ والزميل، الأستاذ الدكتور سمير النوري، لكلمة الوفاء والمحبة النابعة من القلب.

– وإلى جميع الحضور الكرام من الأهل والأصحاب، كل الشكر والثناء.

رحم الله الوالد العزيز، وجعل مثواه الجنة.

إنـا لله وإنا إليه راجعون. والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيّد

نائب رئيس المجمع

في حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور زهير البابا في كلية الصيدلة بجامعة دمشق

يوم الخميس في ١٣/ ١٠/ ٢٠١١م

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صعبة هي مواقف الرثاء والتأبين على المرء؛ وما كنت أحسبني يومًا أقف هذا الموقف في تأبين عَلَمٍ من أعلام الفكر والثقافة في وطننا، عَلمٍ إذا ما ذكر فتمثل الذكرى على منصة من المناقب الرفيعة والأخلاق الفاضلة السامية والعلم الأصيل، ذلكم هو المجمعي المتميز الأستاذ الدكتور زهير البابا رحمه الله، الذي يعد من جيل المكابدة الحق والمعاناة المرة، الجيل الذي وطّد نفسه ليكون كالمصباح بعد أن امتلأ زيتًا معرفيًا.

لقد كانت حياته حافلة بالعطاء على مختلف المستويات، تدريسًا وإدارة وبحثًا وترجمة وتأليفًا وتحقيقًا، وكان يعمل بصمت في منأى عن التبجح والظهور، وتلك لعمري هي سمة العلماء الأفذاذ، فكان شموخًا في تواضعه، ومن اتضع ارتفع، فكان مثالًا للعالم المتواضع والباحث المدقق، يزين ذلك كله عفة اللسان وصفاء السريرة وسمو الأخلاق، وصلابة الانتماء.

مارس التدريس في كلية الصيدلة بجامعة دمشق وفي جامعة الرياض وفي معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، وتسلّم عمادة كلية الصيدلة بجامعة دمشق ورئاسة قسم العقاقير بجامعة الرياض.

وإلى جانب عمله التدريسي والإداري كان رحمه الله عضوًا في عدة جمعيات منها

جمعية تاريخ العلوم السورية، واللجنة الوطنية لتاريخ العلوم في سورية، وجمعية تاريخ الطب في فرنسا، إلى جانب عضويته في مجمع اللغة العربية.

كان مُجلِّيًا في العلوم الصيدلية «اختصاص عقاقير» حيث ألف مجموعة من الكتب الجامعية «علم العقاقير في جزأين، وعلم تشخيص العقاقير، وآداب الصيدلة»، وكان قد ترجم عدة مؤلفات تبحث في علمي العقاقير والنباتات الطبية قبل أن يقوم بتأليف أول كتاب يظهر باللغة العربية في علم العقاقير وتشخيصها المجهري والكيماوي، وقد صدر الكتاب في جزأين أولهما في الدروس النظرية وثانيهما في الدروس العملية.

ولم يقتصر صنيعه على معطيات هذه العلوم في عصرنا الحاضر، وإنما راح يبحث في تراث أمته منقبًا ومحققًا، فحقق عددًا من المخطوطات العلمية في ميادين تخصصه، كان قد ألَّفها بعض علمائنا العرب في حضارتنا العربية الإسلامية من أمثال ابن سينا والزهراوي وابن التلميذ والقلانسي، وكانت للدراسات العلمية التراثية مكانة خاصة في نفس المرحوم الدكتور البابا.

فمن يلق نظرة على البحوث التي قدمها إلى المؤتمرات العلمية، أو التي نشرت في المجلات العلمية، يجدْ أن نصيب التراث منها في تاريخ العلوم عند العرب كان كبيرًا، ومن هذه البحوث «الأقرباذينات أو دساتير الأدوية العربية، مصادر الأدوية المفردة في الطب العربي، الفحوص المخبرية في المؤلفات الطبية العربية، علم السموم في الطب العربي، ابن سينا وإسهامه في وضع أسس علم المياه، تقدم العلوم الصيدلية في بلاد الأندلس، كشف الغطاء عن أحد مؤلفات ابن سينا (دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية)، الطب العربي قبل الفتح الإسلامي، التراث الطبي العربي في مكتبات الشرق والغرب، الصيدلاني أبو القاسم الزهراوي، تأثير اللغة السريانية في المصطلحات الطبية العربية، علم الجنين بين اليونان والعرب...الخ».

ومعذرة فلست الآن في مجال الحصر، وإنما هي إشارات فقط إلى عدد من البحوث التي جمع فيها بين الأصالة والمعاصرة، لإيمانه أن ثمة كنوزًا في تراث أمتنا لابد من تَعَرُّفِها؛ وهذا ما آمن به أستاذنا الراحل المجمعي المرحوم الدكتور عبد الكريم اليافي عندما قال عن تراث أمته:

منه إشراقنا ولولا الجذور الخضر ما هزت الصبا أغصانا

وما دعا إليه المجمعي بدوي الجبل عندما يقول:

وإذا رفت الغصون اخضرارًا فالذي أبدع الغصون الجذور

أما عضويته في مجمع اللغة العربية بدمشق فقد كانت مكللة بالأعمال العلمية المتنوعة، حيث كان عضوًا في عدة لجان في المجمع، أسهم فيها إسهامًا فعّالًا. ومن هذه اللجان: لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية، ولجنة المخطوطات وإحياء التراث، ولجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية، ولجنة المعجمات اللغوية، ولجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها وألفاظ الحضارة، ولجنة مصطلحات الأحياء الحيوانية، ولجنة مصطلحات الأحياء النباتية، ولجنة مصطلحات العلوم الزراعية، ولجنة مصطلحات العلوم الجيولوجية، ولجنة إنجاز أعمال مؤسسي المجمع في العقد الأول من تأسيسه.

ولكم أن تتصوروا أيتها السيدات وأيها السادة، ضخامة الأعباء التي كان يضطلع بها الأستاذ الدكتور زهير البابا في أعمال هذه اللجان في مجمع اللغة العربية، وأن تتصوروا في الوقت نفسه مدى الخسارة الكبيرة من جرّاء فقدانه، ولكن تلك هي إرادة الله ومشيئته، ولا رادَّ لإرادته ولا تمرد على مشيئته، وليس لنا إلا التحلي بالصبر تجاه هذا المصاب الذي ألم بالثقافة والعلم، نتيجة لأفول نجم وغياب فارس فذٍّ من فرسان العلم والثقافة في عصر

كثر فيه أدعياء العلم والثقافة. وشتان بين مدَّعٍ مغرور، وعالم متواضع. ذاك مقتله غروره وادعاؤه، وهذا ثروته علمه الغزير وتواضعه الجم وسيرته العطرة، ورحم الله شاعرنا العربي إذ يقول:

إذا زاد علم المرء قلَّ ادعاؤه وإن قلَّ يومًا علمُه ضلَّ وادّعى

كذا الغصنُ أيامَ الثمارِ تنالُه وإن صار معدومَ الثمارِ ترفعا

أيها الحفل الكريم

لقد عرفت الأستاذ الفاضل المرحوم الدكتور البابا في ثمانينيات القرن الماضي، حيث كنت بمعيته في عضوية لجان لتقويم الشهادات العلمية في مجلس التعليم العالي، فعرفت في شخصه النبيل نزاهة العالم، وموضوعيته، وعدالته، وحرصه الشديد على المستوى العلمي للمرشح الذي سيعيَّن عضوَ هيئةٍ تدريسية في الجامعات السورية، وكنت أُكبر فيه هذه المزايا التي كنت أفتقدها لدى بعضهم، وطالما قلت له آنذاك: بارك الله لوطنك في مواقفك المشرفة التي لا تروم إلا الحق والحق وحده، ولا تخشى في قول الحق لومة لائم، مهما تَكُنِ الوساطات والتدخلات، وبأمثالك تبنى الأوطان، وتصلب أسس البنيان.

وعرفت مزايا أخرى في فقيدنا الغالي في النصف الأول من عقد التسعينيات عندما كلفته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) إنجازَ بحث في تاريخ العلوم عند العرب لمصلحتها. وكنتُ آنئذٍ مديرًا لقطاع التربية في المنظمة، وطالما كنا في المنظمة نتابع الباحثين على الصعيد العربي لإنجاز بحوثهم في المواعيد المحددة لها، وطالما كانوا يتلكؤون في إنجازها، في الوقت الذي كنا فيه نعاني في الإدارة الاحتراق النفسي نتيجة لهذا التأخير وذلك التلكؤ والتراخي، ولكن فقيدنا الغالي أنجز بحثه في الموعد المحدد، وتلك هي سمة من سمات المؤمنين الذين إذا وعدوا وفوا، فقد كان وفيًا لرسالته حريصًا أيما حرص على الإنجاز والإتقان معًا، وقد شاركه في صنيعه هذا أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الله عبد

الدايم، فقد كان مثالًا في إيفائه بمواعيده المحددة، وصدق أمير الشعراء شوقي إذ يقول:

ارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمرٌ ثان

طوبى لك أيها الراحل العَلَم، لأنك تركت لنا سيرتك العلمية المتميزة والمناقبية الرفيعة، وليرحمك الله الرحمة الواسعة سَعَةَ ما قدمته لأمتك من أفانين المعرفة وجزيل العطاء، وأقدّم التعازي باسم مجمع اللغة العربية لأبنائك الكرام الدكتور مازن والدكتورة خلود ولآلك جميعًا وذويك وأصدقائك وطلابك وجامعتك، داعيًا الله أن يسكنك فسيح جناته، وأن يلهمنا جميعًا الصبر والسلوان بسبب هذا الغياب المؤلم، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.